الرمزية بين التحليل النفسي والانثربولوجيا:

أهداف المحاضرة:

- أن يتعرف الطالب على معنى الرمز.
- أن يتعرف الطالب على معنى الرموز بين التحليل النفسي والانثربولوجيا.
- أن يتعرف الطالب على أهم اسهامات علماء الانثربولوجيا في التحليل النفسي

1- مفهوم الرمز:

قدم بيرس Peirce تعريفًا للرمز حيث أدرجه ضمن تعريفه العام للإشارة Sign ، وطبقًا لذلك التعريف، فإن الإشارة تضم ثلاثة أنماط هي : الصورة أو الأيقونة Icon ، والدليل Index ثم الرمز Symbol ، ويستند التمييز بين هذه الأنواع الثلاثة من الإشارة على العلاقة بينها وبين الموضوعات التي تشير إليها ،

والرمز عند سوسير Saussure هو دال وهو نوع من الإشارة Sign ، والإشارة عبارة عن ارتباط كامل بين تصور معين وصورة صوتية معينة ، فكلمة شجرة – على سبيل المثال – كما ينطقها الفرد هي عبارة عن صوت مرتبط به تصور معين أو محدد. ولقد كان للتمييز الذي وضعه سوسير بين اللغة (نسق من القواعد) والكلام (الفعل أو الاستخدام الفعلي للغة) – والذي بمقتضاه تكون اللغة هي المجال الموضوعي الجدير بالدراسة العلمية – عظيم الأثر في الدراسات اللغوية والأنثروبولوجية والفولكلورية

إن الرمزية من منظور التحليل النفسى بمعناها الواسع "هى أسلوب من التصوير غير المباشر والمجازى لفكرة أو صراع أو رغبة لا واعية، بهذا المعنى يمكننا عد كل تكوين بديل رمزى

يرى فرويد في الرمز تمثيلاً لمواد مكبوتة لاشعورية في العادة، فالحلم ليس سوى تعبير أو نزعة لم يتم الإفصاح عنها. وعد بعض أنماط السلوك (زلة اللسان، والتماهى، والتسامى) رموزاً لامور يريد المريض التستر عليها. فلعل الممارسة الطقسية تمثل من هذا المنطلق أموراً مكبوتة يتم التعبير عنها في التماهى والتسامى من خلال الهروب والرقص التعبيرى والحركات الوجدانية، التى ربما تشير الى حالات نفسية فاعلة.

2- الرمز بين الانثربولوجيا والتحليل النفسي:

- إسهامات قوفمان: عرف المفكر الانثربولوجي قوفمان بكتاباته حول تفاصل الحياة اليومية المرتبطة بمفاهيم أساسية مثل الاتصال والدور والرمز، ويكتسب مفهوم الاتصال عنده معنى أكثر

عمقا ودلالة فهو أكثر من طريقة لتسجيل التفاعل، فالسلوك يتجدد من خلاله، ويعتبر الاتصال الرمزي أو اللغوي أساس كل سلوك اجتماعي وهو الأداة المنهجية الأساسية لاكتساب المعرفة عن هذا السلوك، ويرى قوفمان أن كل فرد يعيش ضمن عالم من اللقاءات الاجتماعية تمكنه من ربط اتصال مع العالم الخارجي.

وقد استخدما قوفمان مفهوم الاتصال بوضوح في دراسته حول الأمراض العقلية، وقد استند في ذلك إلى عدة معطيات أخذها من الأطباء وقد استنتج من خلال دراسته هذه أن الدراسات النفسية المعتمدة على حالات أو مواقف معينة أدت إلى الاهتمام بدراسة المجرم أو المذنب أكثر من دراسة القواعد والدوائر الاجتماعية التي تعتبر مذنبة كذلك، وقد أضاف قوفمان أن الدراسات التي قام بها بعض الأطباء النفسانيين قد جعلت من السوسيولوجيين والانثربولوجيين أكثر اطلاعا على فضاء مهم من الحياة الاجتماعية.

والمفهوم الثاني الذي اهتم به قوفمان هو الدور إذ يشبه قوفمان الحياة اليومية بالمشهد المسرحي وما يحتويه من ممثلين وجمهور، ومهمة الممثل هما تمكن بالأساس في قدرته على تقديم فكرة واضحة عن الدور الذي سيلعبه وكذلك الصورة التي يرد أن يمررها عن نفسه بمعنى قدرته على أن يربط دوره بالواقع، وبالتالي تقديم صورة واضحة عن الذات.

- رمزية اللغة عند كلود ليفي شتروس: كان لأعمال ستروس الانثربولوجية التي قام بها بكل من البرازيل والهند الأثر البالغ في توجهات الانثربولوجيا ما بعد الحداثة وخاصة منها الانثربولوجيا الرمزية التي هيمنت أبحاثها على المدرسة الأمريكية المعاصرة، وما يمكن الإشارة إليه هو أن النظرية البنيوية لستروس لعبت دورا كبيرا في فهم مسألة القرابة من ناحيتي التحليل والمنهج،وأسهمت بقسط وافر في تفسير مواضيع أنثربولوجية مختلفة مثل الدين، الرمز، الأسطورة وغيرها من المسائل التي اختص بها علم الأناسة. وأهم ما يمكن قراءته في هذه النظرية أنه لا يمكن فهم البناء الاجتماعي كليا أو بعض العناصر المكونة له مثل الدين أو الرمز إلا من خلال فهم نسق القرابة المنتمي لهذا البناء.

وفيما يتعلق بمسألة الرموز فقد أشار ستروس في كتابه " الانثربولوجيا البنوية" أن مهمة الانثربولوجي لا تكمن في الكشف عن الجوانب الوظيفية للأنساق الاجتماعية فقط بل يجب أن تتعدى ذلك إلى الكشف عن جوهر هذه الأنساق .

- الرموز الدينية وإسهامات جيمس بوون وكليفورد غيرتز:

تندرج أعملا غيرتز في ضمن موضوع الرموز الدينية التي تعد من بين اهتمامات الانثربولوجيا الثقافية أو الانثربولوجيا الرمزية، وهي نظرية غربية تسعى إلى قراءة الرموز والمعاني الكامنة داخل السلوك الإنساني، وقد أكد غيرتز على أهمية الرموز في تفسير الظاهرة الثقافية لأنها تلعب دورا أساسيا في بلوغ الحقيقة الإنسانية لأنها تحمل معنى ماديا، الذي يبرز عبر حقيقة هذه الرموز التي تتطابق مع الواقع الذي نقترن به.

إن رؤية غيرتز لمهمة الباحث الانثربولوجي عند دراسة الظاهرة الدينية يجب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار البعد الثقافي في تحليل ما هو ديني والذي يتجسد من خلال الرموز، ونادى بالقيام بتحليل الفعل الرمزي مع الأفعال الاجتماعية النفسية، وأضاف أن الأنماط الثقافية تمثل صورا أو نماذج هي عبارة عن مجموعة من الرموز ذات صلة ببعضها البعض وأن هذه الصور أو النماذج لها معنيان: معنى لها في ذاتها، ومعنى تدل به على معنى آخر.

- اسهامات بونج: أيد يونج من جانبه فرويد في كون للأحلام رموز ولكنه يعطى من جانبه للأحلام مضامين ليست بالضرورة أن تكون جنسية. فالأحلام في رأي يونج تمثل الحياة الاجتماعية للجماعة، ويرجعها من ثم إلى اللاوعى الجماعي معرفاً الرمز بوصفه "مصطلحاً أو اسماً أو صورةً يمكن أن تكون مألوفة في الحياة اليومية، وتتميز بمعنى ضمني إلى جانب معناها الواضح المباشر، وينطوي على أشياء مبهمة غير معروفة أو مخفية. فالمعنى الضمني يعنى أن للصورة أو الكلمة مظهراً لا واعياً يصعب تعريفه أو شرحه بدقة ... وحينما يحاول العقل استكشافه يقوده ذلك إلى أفكار خارج حدود العقل.

ويقسم يونج (Jung,C.G.et al.Ibid.: 82- 83) الرموز إلى نوعين: طبيعية وثقافية، الطبيعية منها هي التى تستمد من مشتقات اللا وعي، وتمثل عدداً من الأنماط البدائية وتصوراتها؛ والثقافية منها هي التى تستخدم لتعبر عن الحقائق الأزلية، وهى التى لازالت تستخدم في معظم الديانات، والتي تم إخضاعها لتحولات كثيرة لتغدو خيالات جماعية تتقبلها المجتمعات المتحضرة، وتثير عاطفة عميقة لدى

بعض الأفراد وتعد عاملاً نفسانياً. هذا ويعد يونج النوع الأخير هذا مهماً للبناء العقلي ويؤدي كبتها أو إهمالها إلى اختفاء طاقتها في اللاوعي حيث تنشط وتزدهر وتتكثف بشدة لتجد تجلياً لها في الرغبات أو في الميول اللاواعية، التى قد تجد فرصة للتعبير عن نفسها أو الخمود. إن هذه الميول هي التى تشكل وجوداً دائماً وكامناً ومدمراً (الظل) للعقل الواعي. وهذه الأخيرة يمكن في حالة كبتها وعدم إتاحة الفرصة لها لممارسة تأثير ايجابي أن تتحول إلى شياطين. ولعل الممارسة الطقوسية للزار تمثل شكلاً من أشكال إتاحة الفرصة لتفريغ تلك الميول، وهو ما اصطلح يونج على تسميته "القنوات الانسيابية للطاقة energy canalisation". وفي هذا الصدد يرى كالفن وآخرون أن الرمز بالنسبة لـ يونج هو أكثر من مجرد إخفاء أو خداع للرمز، فالرموز هي تحولات لدوافع بدائية، إنها قنوات انسيابية لتفريغ الغرائز اللبيدية بقيم روحية وثقافية. فالرقص، مثلاً، ليس بديلاً لنشاط جنسي بل يعنى شيئاً أكثر من ذلك.